من الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية

مقاربة تعليمية في ضوء الاتجاهين التوليدي التحويلي والتواصلي

From linguistic Competence to communicative Competence An Educational Approach in Light of Transformational-Generative and Communicative Approaches

عبد الرؤوف محمدي*
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية وحدة ورقلة
Mohamdiraouf@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/21	تاريخ القبول: 2022/11/06

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى التعريف بمحاولات تفسير اكتساب اللغة وتعلمها من وجهتين: الأولى آراء تشومسكي الذي يرى أن اللغة منظومة من القواعد يجب التمكن منها لاستيعاب نظام اللغة وقواعدها وتحقيق عمليتي الاكتساب والتعلم ، وقد أطلق عليها مصطلح الكفاية اللغوية (بما تتضمنه من مستويات لغوية: صوت، وصرف، ونحو، ومعجم). و الثانية آراء ديل هايمز الذي يرى أن اكتساب اللغة وتعلمها لا يمكن أن يتحقق من دون التحكم في كفاية تواصلية تسمح للمتكلم والمستمع على حدّ سواء من استعمال اللغة في سياق اجتماعي وثقافي.

وقد خلصنا إلى أن متعلم اللغة يحتاج إلى التحكم في الكفايتين: اللغوية التي تجعله متحكما في نظام اللغة وقواعدها، والتواصلية التي تجعله متحكما في قواعد اجتماعية وثقافية، وتفاعل متبادل بين أطراف العملية التواصلية، تتيح له استعمال اللغة في الوضعيات الحقيقية وشتّى المواقف التواصلية.

الكلمات المفتاحية:

الكفاية اللغوية- الكفاية التواصلية- الأداء- تشومسكي– ديل هايم

Abstract :

This article aims to examine the attempts that have been made to interpret language acquisition and learning from two approaches: we presented Chomsky's approach and views as a pioneer of the transformational-generative grammar school of thought, considering that language is a system of norms that must be adapted to accommodate the language system and rules and achieve acquisition and learning processes, and has been termed language competence (which in cludes the following linguistic levels: phonology, morphology, grammar and vocabulary).

The second approach was to present Dell Hymes' views that the acquisition and learning of a language cannot be achieved with out possessing a communicative competence that allows both the speaker and the listener to use the language in a social and cultural context.

We have concluded that a language learner should possess the two competencies: the

* المؤلف المرسل: عبد الرؤوف محمدي

language competence that makes him or her in control of the language system and rules

and the communicative competence that makes him or her in control of social and cultural norms, and efficient mutual interaction between the parties to the communication process, allowing him or her to use the language in real situations and various communicative situations.

Keywords: Linguistic competence, communicative competence, Chomsky, Dell Hymes

مقدمة:

حاولت كثير من النظريات تفسير عملية اكتساب الطفل للغة في مرحلة الطفولة المبكرة أو تعلمها في مختلف المراحل التعليمية، ومن ثم التعرف على كيفية التعلم بالانتقال التدريجي من اللغة الشفهية إلى تعلم اللغة المكتوبة في المدرسة، وقد برزت مجموعة من الطرائق والمقاربات والنظريات لعل من أبرزها النظرية السلوكية التي عرفت انتشارا واسعا في مرحلة ما، وكان لها بالغ الأثر في نظريات التعلم من حيث التجسيد، والانتقاد، فمن المآخذ التي لوحظت عليها على سبيل التمثيل ربطها اكتساب اللغة وتعلمها بالسلوك "فقد فسّر السلوكيون اللغة بنظام لاكتساب العادات، وهي بذلك نوع من أنواع السلوك الشفاهي، لا يختلف عن أنواع السلوك الأخرى التي يكتسبها الفرد بالخبرة والتجربة والمحاولة والخطأ"[1]. فتعلم اللغة عندهم سلوك يقوم به المتعلم من خلال المثيرات والتكرار والتعزيز، وألغت بذلك النشاط الذهني على اعتبار أن اللغة مجموعة من السلوكات تنتج من العادات اللفظية. وهذا ما دفع تشومسكي Chomsky صاحب النظرية التوليدية التحويلية إلى رفض هذا الرأي وردّ هذا التفسير مؤكّدا أن اللغة نشاط ذهني يقوم به الطفل؛ إذ "إن القدرة على استعمال اللغة لا يخضع لمبدأ التكرار الآلي، بل في القدرة الذهنية على تطبيق قواعد لغوية ثابتة على أمثلة واقعية متغيرة"[2] ويعني هذا أن ممارسة اللغة عند الاكتساب والتعلم تقوم على الممارسة الواعية، لا على التكرار الآلي أو النمطي. فالطفل حين يولد يولد وهو مزود بجهاز فطري يساعده على اكتساب اللغة، وله كل الاستعدادات لاستيعاب مفاهيمها ونظامها ونحوها الكلي الذي تشترك فيه جميع اللغات، والقدرة على إنتاج الجمل وتركيبها ، وإن لم تسبق له معرفتها أو سماعها من قبل، وتعلمها إنما يكون بالتدريب العقلي[3].

ولئن بدا أن تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية في تفسير اكتساب اللغة وتعلمها قد انتقد السلوكيين فإن من جاؤوا بعده وجهوا نقودا لنظريته، من ذلك أن تعلم اللغة يقتصر على تعلم الكفاية اللغوية أي معرفة النظام اللغوي، فالقواعد في نظر هذه المدرسة هي الأساس في تعلم أي لغة، والإنسان هو الوحيد المؤهل الذي يمكنه التكلم باللغة بفضل جهاز النطق المزود به. وهو ما استدركه ديل هايمز Dell Hymes وأصحاب الاتجاه التواصلي على وجه العموم بالدعوة إلى تمكين متعلم اللغة من التحكم في كفايات تواصلية تسمح له بالاندماج وتوظيف اللغة في شتى المواقف التواصلية، فالتعلم الحقيقي والمفيد هو الذي ينبع من رغبات المتعلم واهتماماته واحتياجاته

1-الكفاية اللغوية:

جاء في موسوعة علم النفس أن الكفاية اللغوية هي:" القدرة التي يمتلكها المتحدث والمستمع للغة معينة لكي ينتج ويفهم عددا غير محدود من الجمل الصحيحة نحويا، وتدل الكفاية في الواقع على المعرفة الضمنية للغة، أي النظام المستبطن للقواعد الذي يشكل مجموعة القواعد النحوية لتلك اللغة"[4] .

وهي تعني عند براون" المعرفة الضمنية لنظام اللغة وقواعدها ومفرداتها وكل أجزائها وكيف تتضام هذه الأجزاء معا"[5] . فالكفاية اللغوية تتطلب معرفة نظام اللغة، ومعرفة القواعد التي تحكم هذا النظام، على أن ما تجب الإشارة إليه أن هذا المفهوم قد تغير بالنسبة للاتجاه التواصلي الذي يرى أن معرفة اللغة مرتبط بمعرفة قواعد الاتصال وآلياته، وعلى هذا الأساس فإن القواعد التي ينبغي تعليمها أو تعلمها لا تنحصر في القواعد اللغوية فقط، بل لابد من مراعاة تعلم قواعد اجتماعية وثقافية تتطلبها عملية الاتصال، ويتطلبها استعمال اللغة وتوظيفها في مواقف تواصلية حقيقية[6].

إن اهتمام الاتجاه التواصلي باللغة المستعملة في سياقاتها الحيّة الاجتماعية أوعز لهم بضرورة مراعاة كفاية أوسع وأشمل من الكفاية اللغوية في إطار مقاربة وظيفية تجعل الاستعمال اللغوي أولى أولوياتها وهي الكفاية التواصلية.

2-الكفاية التواصلية:

تعددت تعريفات الكفاية التواصلية بين الباحثين وانطلاقا من التمييز بين القدرة اللغوية والكفاية التواصلية الذي أشرنا إليه سابقا يمكن الاقتصار على بعضها، فهي عند هايمز Dell Hymes " قدرة الفرد على أن ينقل رسالة أو يوصل معنى معينا وأن يجمع بكفاءة بين معرفة القواعد اللغوية والقيم والتقاليد الاجتماعية في الاتصال"[7].

ويذهب ديتمار Dittmar إلى أنها قدرة الأفراد على أن يتصل أحدهم بالآخر في ظروف محددة موقفيا ومعياريا، لغوية، ونفسية، واجتماعية، وتداولية[8].

أما دافيد كريستال D.Crystal فهي في نظره تُعبّر عن وعي الفرد بالقواعد الحاكمة للاستعمال المناسب في موقف اجتماعي[9].

ويوافق وداوسن Widdowson أغلب الباحثين إذ يرى أن الكفاية التواصلية مفهوم عام يشمل كل الطاقات اللغوية، وما القدرة النحوية إلا مكون من مكوناتها[10].

وكتعريف إجرائي نرى أن الكفاية التواصلية هي مجموعة من القدرات التي تمكن الفرد من استعمال اللغة والتواصل بها في مواقف اجتماعية معينة وسياقات محدّدة تمثل القدرة اللغوية أحد مكوناتها.

ونلاحظ أن التعريفات تقسم الكفاية التواصلية إلى قسمين: قسم يتعلق بالقدرة اللغوية، وقسم يتعلق بالاستعمال في المواقف والظروف الاجتماعية، وبخاصة النظرة للقواعد اللغوية التي صارت

ترتكز على أسس وظيفية باعتبار أن الفرد يكتسب بواسطتها القدرة على التفاعل والاندماج في جوانب مختلفة من الحياة[11].

إجمالا لما سبق يمكن القول: إن الكفاية التواصلية لا تعني قدرة الفرد على إنتاج جمل صحيحة والالتزام بالقواعد اللغوية نحوا وصرفا فحسب، بل تعني بالإضافة إلى ذلك القدرة على التصرف في بنى اللغة بطريقة تناسب الوضعيات الواقعية الحقيقية، والمواقف الاجتماعية التي يتم فيها التواصل، وهو ما يقتضي بالضرورة القدرة على التكيف لغويا مع الوضعيات التواصلية السائدة في مجتمع معيّن، واحترام المعايير والصيغ التعبيرية المتواضع عليها داخل ذلك المجتمع.

3-مكونات الكفاية التواصلية

يعكس تحديد مكونات الكفاية التواصلية تباينا واضحا في آراء العلماء فقد حدّدها ديل هايمز بأربعة مكونات في حين رأى أبويين 1980 أنها تتكون من خمسة مكونات، أما كانال وسواين Canale & Swain فقد جعلاها أربعة مكونات في نموذج بديل لنموذج ديل هايمز، وهذه المكونات هي:

3-1-الكفاية اللغوية /النحوية: بما تتضمنه من قواعد صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية.

3-2-الكفاية اللغوية الاجتماعية: وتعني استعمال اللغة في سياق الظروف والمواقف والعلاقات الاجتماعية والثقافية، إذ لابد من مراعاة السياق الاجتماعي للاستعمال وامتلاك القواعد الاجتماعية والثقافية بما يوافق الخطاب، وذلك مثل دلالة الأمر عند البلاغيين.

3-3-الكفاية الخطابية : وتعني قدرة الفرد على تحليل الخطاب بمختلف أشكاله وفهم بنية الكلام وإدراك العلاقة بين عناصره، ويدخل في صنف الكفاية التخاطبية كل ما يعين المتخاطبين على استخدام الجمل اللغوية وتأويلها تأويلا سليما يراعي عناصر السياق.

وعلى هذا الأساس فإنه بإمكاننا ونحن نمارس تعليم دروس العربية في مرحلة ما من مراحل الدراسة أن نعلمهم مختلف صيغ طلب إرشادات مثلا، ونلفت انتباههم إلى أن كل صيغة يتطلبها مقام معين، وبذلك نمكنهم من تحصيل كفاءة تواصلية بدل حفظ قواعد وتراكيب جامدة معزولة عن سياقها.

3-4-الكفاية الاستراتيجية : وتعني قدرة المتكلم على اختيار أساليب الحديث واستراتيجياته اللفظية وغير اللفظية المناسبة للمواقف والوضعيات التواصلية لتدارك الخلل الذي قد يحول بين إتمام عملية التواصل سواء تعلق الأمر بمتغيرات الأداء أو نقص الكفاية التواصلية، والقدرة على إدارة الحديث.

وأهم ما يمكن الانتهاء إليه أن الكفاية التواصلية لا تعني القدرة على استيعاب نظام اللغة أو استعماله فحسب، بل تتعدى ذلك كونها عملية تتسم بطابعي الفردية والاجتماعية: فهي فردية حين

تتعلق بالأساليب الخاصة بالفرد لمواجهة الوضعيات واجتماعية حين تتعلق بالسياق والمواقف التي يتم فيه التواصل [12].

4- خصائص الكفاية التواصلية:

يمكن تحديد بعض الخصائص التي ترتكز عليها الكفاية التواصلية و التي من أهمها:

- هي مفهوم ينماز بالتفاعل بين أطراف العملية التواصلية ففي العملية التعليمية التعلمية على سبيل المثال تكون بين المرسل والمرسل إليه، أي بين المعلم والمتعلم أو بين المتعلم وأقرانه، ومن هذا المنطلق تستمد حركيتها التواصلية والتفاعلية بين الأطراف المذكورة عوض اقتصارها على التواصل الذاتي.

-تتجسد الكفاية التواصلية في وضعيات تواصلية مختلفة وفي كل نوع من أنواع اللغة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة.

- للسياق دور هام لا يمكن إغفاله في إطار النظرة التواصلية بعامة والكفاية التواصلية بخاصة فكما أنه لا يمكن حصر المواقف التواصلية فإنه من الضروري مراعاة السياق، ومراعاة ملابسات الخطاب ومقاماته، ومن ثم اختيار الأساليب المناسبة واللغة المساعدة على التواصل في تلك المواقف[13].

5-الكفاية اللغوية عند تشومسكي:

ينطلق تشومسكي في تعريفه للكفاية اللغوية/ الملكة من نظرته للغة التي يرى أنها مفردات تحوي جملا صحيحة نحويا تتصل بالكفاية اللغوية التي أطلق عليها القدرة النحوية، وهي تتعلق بالأداء كما سنرى.

5-1-الكفاية اللغوية والأداء:

يميّز تشومسكي بين الكفاية اللغوية أو الملكة، والأداء الذي هو تحقيق وإنجاز لها، ويبني تصوره هذا على ملاحظته للطفل في أثناء اكتساب مفردات اللغة وقواعدها، فهو يمتلك قدرة على تكوين أنواع من الجمل لا تقتصر على تكوين جمل موافقة للقواعد النحوية التي تعلمها فحسب، وإنما تتعدى إلى القدرة على بناء جمل وتراكيب لم يسبق له وأن تعلمها من قبل[14]. ويرجع تشومسكي ذلك إلى الاستعدادات الكامنة عند الطفل بفضل امتلاكه جهاز اكتساب اللغة.

وهو ما يفيد بأن تشومسكي تجاوز بنظريته هذه اللسانيات البنوية التي تعد اللسان ظاهرة سكونية مخزنة في ذهن المتكلم، وركز على مفهوم الأداء أو الإنجاز الذي يتمثل في قدرة المتكلم على إحداث الكلام وإدراكه[15].

2-5-الإبداعية: أوحى التمييز بين الكفاية و الأداء إلى تشومسكي بفكرة الإبداعية التي تعني " قدرة المتكلم / المستمع على استعمال نسق القواعد النحوية المستنبطة لإنتاج وفهم جمل لم يسبق له أن أنتجها أو سمعها من قبل"[16].

وعليه فإن الإبداع حسبه قائم على ثنائية الكفاية و الأداء /الإنجاز التي تتمثل في إنتاج عدد لا حصر له من الجمل التي لم يسبق له أن سمعها من قبل وفهمها والأداء الذي يتيح له تطبيق القواعد الضمنية المختزنة في ذهنه وممارسته عملية التكلم.

وفي هذا الصدد يذكر تشومسكي أنه" يتوجب علينا إذا أردنا تفسير حقائق الكون التي لا تخضع لاحتمالات التفسير الآلي أن نبحث عن مبدأ آخر غير آلي، وذلك المبدأ هو ما يمكن أن نسميه بمبدأ الإبداع..."[17]

ويعني ذلك أن المتكلم /المستمع له قدرته الكامنة ووسائله محدودة، لكنه عندما يستعملها في التأليف بين الأصوات وبين الوحدات المعجمية فإنه يحصل على إمكانات لانهائية عند الإنجاز، أو الأداء، وهكذا تبدو الكفاية على قدر ظاهر محدودة، بينما الإنجاز لا محدود[18].

على أن ما يجب الإشارة إليه أن مفهوم الإبداعية يناقض مفهوم الآلية الذي يقول به السلوكيون، الذين ينطلقون في تفسيرهم لاكتساب الطفل اللغة وتعلمها من مبدأ التكرار وفق ثلاثية: (مثير استجابة تحفيز) وهو ما أشار إليه تشومسكي وانتقده عند قوله التعبير الآلي.

6-الكفاية اللغوية عند هايمز:

استتباعا لما ذكرنا عن أهم العناصر التي بنى عليها تشومسكي تصوره حول الكفاية اللغوية والأداء، نجد أن أغلبها كانت محل انتقاد من دل هايمز: من ذلك نظرته للكفاية اللغوية التي وإن كان يبدو موافقا لتشومسكي إلا أنه يرى قصورها وعدم كفايتها لعزلها عن السياقات الاجتماعية " فقد أقر هايمز بالكفاءة اللغوية التي تعنى بإتقان قواعد اللغة لكنه أخذ على تشومسكي إغفاله القدرة على استعمال اللغة في التفاعلات الاجتماعية، ذلك أن المعرفة بالنظام اللغوي (القواعد النحوية والصوتية والإملائية والمفردات...) لا تجعل المتعلم بالضرورة قادرا على التواصل واستعمال اللغة بفعالية. ويدعم رأيه الكثير من المدرسين حيث اشتكوا من عدم قدرة المتعلمين على استخدام ما تعلموه للتواصل رغم تحصيلهم المرتفع في القواعد اللغوية فالطفل حسبه لا يكتسب اللغة كجمل أو معارف لغوية فقط، بل أيضا كتعابير مناسبة لمواقف اجتماعية دون أخرى"[19].

ويتضح من خلال ما أسلفنا ذكره أن محل الخلاف مصدره تصور تشومسكي لموضوع البحث اللساني الذي يراه متمثلا في قدرة المتكلم/ المستمع المثالي، في الوقت الذي يرى هايمز أن موضوع البحث اللساني هو قدرة المتكلم/ مستمع واقعي له وجود في قلب الحياة الاجتماعية[20]. ولا غرابة في الخلاف بين هذين العالمين إذ كل منهما ينطلق من خلفيته المعرفية ومرجعيته الفكرية والفلسفية وتخصصه: فتشومسكي رياضي وفيلسوف ولغوي...لذلك فقد افترض وجود المتكلم والمستمع المثالي، في حين منطلقات ديل هايمز وآراؤه مصدرها تخصصه في الدراسات الإنثروبولوجية والسوسيولوجية.

وممّا يؤكد ما ذهبنا إليه ما ذكره هايمز فقد لاحظ أن " تشومسكي لم يقدم نظرية عن حقيقة القدرة والإنجاز وإنما قدم عنهما فرضيات مصوغة بلغات مجازية: إنه يتحدث عن القدرة ويقصد النحو بمعناه الضيق، ويتحدث عن الإنجاز ويقصد تجلياته النفسية ، بل حين يتحدث عن الاستعمال الخلاق للغة أو مناسبة القول للمقام يقصر تحليله على مستوى التركيب ويتحاشى تحليل السياق الاجتماعي"[21]. و لعل هذه نقطة أخرى من النقاط التي لوحظت على تشومسكي ونظريته التي جعلت تحليله اللساني يقف عند حدود الجملة، وهو ما لا يراه التداوليون وهايمز الذين يقولون بوجوب تجاوز التحليل اللساني للجملة إلى عمليات أوسع وأشمل وهي النص والخطاب[22] بما يتيحانه من استعمال اللغة في سياقات ومواقف متعدّدة.

ولمزيد بيان نرى الاختلاف جليا بين آراء تشومسكي و هايمز في تحديد مفهوم الكفاية اللغوية التي يراها هايمز إحدى مكونات القدرة التواصلية، وهو مفهوم تطور في الدراسات المرتبطة بتعليم اللغات التي انتقلت من الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية. وقد تجلى ذلك في برامج التوليديين والوظيفيين إذ "وجه برنامج التوليديين لإقامة نموذج يحاكي قدرة المتكلم النحوية في حين وجه برنامج الوظيفيين لتمثيل قدرة المتكلم التواصلية"[23].

ويبدو على قدر ظاهر في الاتجاهات الوظيفية التداولية والتواصلية قصور النظرة التوليدية المبنية على معرفة القواعد اللغوية التي تعزل اللغة عن مواقف استعمالها، فقد تبيّن للوظيفيين والتداوليين " أن النحو التوليدي التحويلي قد وصل إلى مستوى من التجريد النظري جعله قاصرا على دراسة ما يمكن قوله باللغة دون أن يرقى إلى ربط ذلك بشروط الاستعمال: الزمان، والمكان، والمتكلم، والمخاطب، والوضع الاجتماعي"[24].

وهو ما دفع هايمز بأن يقترح نموذجا وظيفيا يستبدل الكفاية اللغوية بالكفاية التواصلية، وقد برز ذلك على وجه الخصوص عند تفسيرهم للقدرة التواصلية حينما ابتعدوا عن ربطها بالقواعد اللغوية التي تشكل نظام اللغة صوتا وصرفا وتركيبا، وركزوا على قواعد الاستعمال، أو القواعد التداولية التي تمكن من استعمال عبارات خاصة ومحددة في سياق التخاطب من أجل

تحقيق الغرض التواصلي، ذلك أن الكفاية "التواصلية للفرد لا تنحصر فقط في معرفة القواعد التركيبة والدلالية والصرفية والصوتية، بل تتجاوز ذلك إلى معرفة القواعد التداولية التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج العبارات اللغوية وفهمها فهما سليما في مواقف تواصلية معينة على اعتبار أن القدرة التواصلية تضم بالإضافة إلى قواعد اللغة قواعد أخرى تداولية وقدرات أخرى منطقية ومعرفية واجتماعية، وإدراكية، تستعمل جميعها أثناء عملية التواصل إنتاجا وفهما وتأويلا"[25].

7.نقد هايمز لمبدأ الإبداع:

يخالف هايمز تشومسكي في نظرته لمبدأ الإبداع الذي يراه وإن كان يتوافق وينسجم مع الوصف وبنية اللغة، إلا أنه لم يقدم شيئا ذا بال لتفسير القواعد الوظيفية والاجتماعية للغة؛ لأن المتعلم لا يكتفي بتعلم هذه البنية فحسب، بل يحتاج إلى تعلم طريقة استعمالها في شتى المواقف التي تواجهه في الحياة الاجتماعية[26].

ويتضح من ذلك - كما سبق أن أوضحنا - أن الكفاية اللغوية ما هي إلا جزء من الكفاية التواصلية، ومكون من مكوناتها، فمعرفة القواعد اللغوية يمثل بعدا لغويا يمكن من إنتاج عدد لا متناه من الجمل الصحيحة نحويا وهو ما أشار إليه تشومسكي عندما ميّز " بين القدرة (الكفاية)اللغوية والأداء، واعتبر أن القدرة هي المعرفة الضمنية باللغة والتمكن من إنتاج الجمل وفهمها أثناء استعمال اللغة، أما الأداء فهو الاستعمال الآني للغة في سياقات معينة"[27].

وفي هذا السياق يشير براون إلى أهمية العناصر غير اللغوية في تعلم اللغة الثانية وأن ذلك" لا يتوقف على القدرة اللغوية وإنما لابد من القدرة غير اللغوية في الاتصال... من دلالات الإشارات والحركة الجسمية والمسافة وغيرها، وكل ذلك لا مندوحة عنه أمام المتعلم للوصول إلى القدرة الاتصالية"[28].

ويؤيّد ذلك ما ذهب إليه ميشال زكريا بذكره بعض العوامل المؤثرة في الأداء وهي عوامل غير لغوية كالعوامل السيكولوجية (الذاكرة –الانفعالية- الانتباه) والعوامل السوسيو ثقافية كالانتماء إلى مجموعة اجتماعية معينة أو طريقة التدريس اللغوي[29].

وهكذا فقد تغيّر مفهوم التعلم الذي لم يعد يقتصر على تعليم البنى اللغوية فحسب، فذلك أمر مطلوب، لكنه في الوقت نفسه غير كاف، ولم يعد الهدف من تعليم اللغة هو تمكين المتعلم من قواعدها صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة وإنما الهدف الأسمى هو تمكينه من استراتجيات استعمال اللغة في مواقف تواصلية شتّى قد تعترضه في حياته اليومية وفي محيطه الاجتماعي[30].

من هنا يمكن القول: إن الكفاية اللغوية لا يمكن بحال من الأحوال أن نقتصر عليها عند الأداء، إذ تتدخل عوامل غير لغوية كثيرة في نجاح العملية التواصلية نفسية كانت، أم اجتماعية، أم ثقافية،

أم سياقية... وهو ما استدركته النظريات التداولية والوظيفية بصفة عامة عن نظرية تشومسكي الذي عزل العوامل الخارجية المتحكمة في استعمال اللغة وحصرها والاقتصار على القواعد اللغوية.

يقول الحاج صالح:" فإذا اكتفينا في تعليم اللغة بجانب السلامة اللغوية أي بجعل الطالب قادرا على تطبيق القواعد النحوية وحدها دون مراعاة ما تستلزمه عملية الخطاب، أي دون القواعد البلاغية، كان تعليمنا هذا ناقصا (وهو حاصل الآن في غالب البلدان العربية) وتجاهلنا بذلك أن الملكة اللغوية بكاملها وفي جملتها هي مهارة التصرف في بنى اللغة بما يقتضيه حال الحديث، أي القدرة على التبليغ الفعال بما تواضع عليه أهل اللغة وبعبارة أخرى أيضا القدرة على الاتصال اللغوي في جميع الأحوال بما يقتضيه الوضع اللغوي وهذه الأحوال معا من لفظ سليم ومناسب"[31].

إن ما تتطلبه العملية التعليمية التعلمية هو عدم الاقتصار على القواعد النحوية واللغوية بصورة عامة بمستوياتها اللسانية لأن ذلك لن يبلغ المقصود، ولن يمدّ المتعلم بمبادئ استعمال اللغة، والقدرة على الكلام والتعبير، والتحكم في مهارات التواصل، ولن يزوده بالمواقف الطبيعية التي تتيح له توظيف اللغة واستعمالها في شتى الأحوال الخطابية.

خاتمة:

- إن ظهور المدرسة التداولية والاتجاه التواصلي والوظيفية بشكل عام والتي اتخذت استعمال اللغة ومراعاة سياقات التخاطب ومقاماته ركيزة أساسية، ممّا دعا إلى إعادة النظر في مفهوم الكفاية اللغوية -التي يقول بها تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية- عند اقترانها بتفسير اكتساب اللغة وتعلمها، فقد أضحت غير كافية، ومن ثم فإن الاتجاه التواصلي دعا إلى توسيع دائرة الاهتمام من الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية في إطار مقاربة وظيفية تجعل الاستعمال اللغوي أولى أولوياتها وركيزة من ركائز تعلم اللغة.

- تتضمن الكفاية التواصلية معرفتين: معرفة لغوية (صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية) ومعرفة مكتسبة من توظيف اللغة في سياقات اجتماعية ثقافية.

-الكفاية التواصلية هي مجموعة من القدرات التي تمكن الفرد من استعمال اللغة والتواصل بها في مواقف اجتماعية معينة وسياقات محدّدة تمثل القدرة اللغوية أحد مكوناتها. وهذا يدل على أن الكفاية التواصلية لا تعني قدرة الفرد على إنتاج جمل صحيحة والالتزام بالقواعد اللغوية نحوا وصرفا فحسب، بل تعني بالإضافة إلى ذلك القدرة على التصرف في بنى اللغة بطريقة تناسب الوضعيات الواقعية الحقيقية، والمواقف الاجتماعية التي يتم فيها التواصل، وهو ما يقتضي بالضرورة القدرة على التكيف لغويا مع الوضعيات التواصلية السائدة في مجتمع معيّن، واحترام المعايير والصيغ التعبيرية المتواضع عليها داخل ذلك المجتمع.

الإحالات:

[1]ينظر: مدكور علي ، هريدي إيمان ،(2006،) تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، ط1، ص33.

[2]طعيمة، رشدي، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ج1، جامعة أم القرى، سلسلة دراسات في تعليم العربية 18، ص401،400.

[3]*ينظر: العلوي، عبد الرحيم الوائق. (2017)*.تقويم الكفايات اللغوية واستراتيجيات تعليم وتعلم اللغة. الرباط:دار أبي رقراق ، ص 59،58.

[4] رولان دورون، فرنسواز بارو،(1997)، تعريب فؤاد شاهين، موسوعة علم النفس،المجلد منشورات عويدات، لبنان،ص 220 .

[5]براون ،دوجلاس، (1994).ترجمة.الراجحي،عبده،شعبان، علي أحمد. أسس تعلم اللغة وتعليمها، دار النهضة العربية،بيروت، ص44.

[6]ينظر: رجم،سميرة. (2016). نحو مقاربة تواصلية في تدريس اللغة العربية في مرحلة التعليم الابتدائي،جامعة منتوري قسنطينة،ص67،68 <https://bu.umc.edu.dz>بتاريخ2021/08/17 .

[7]هويدا، الحسيني(1991)، دراسة تقويمية لكتب تعليم العربية كلغة أجنبية في ضوء مفاهيم المدخل الاتصالي، كلية التربية، جامعة المنصورة. ص61.

[8]ينظر: العبد، محمد (2005)، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، القاهرة، ص50.

[9] نقلا عن، طعيمة، رشدي، (2004)، المهارات اللغوية مستوياتها تدريسها صعوباتها، دار الفكر العربي، D.Crystal 55 .p :417. ط1،القاهرة، ص173.

[10] ينظر: البوشيخي، عز الدين. (2012)، التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، مكتبة لبنان، بيروت ، ص31، والعمراني، مصطفى، (2008)، اللغة والتواصل التربوي والثقافي:مقاربة نفسية تربوية، منشورات مجلة علوم التربية، الدار البيضاء، ص 13.

[11]التومي،عبد الرحمن، (2016)، الجامع في ديداكتيك اللغة العربية. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.ص82.

[12]ينظر: التومي،عبد الرحمن، الجامع في ديداكتيك اللغة العربية. ص 82.

[13]ينظر: التومي،عبد الرحمن، الجامع في ديداكتيك اللغة العربية. ص82.

[14] ينظر: لطفي بوقربة،محاضرات في اللسانيات التطبيقية، جامعة بشار الجزائر، 22/12/31 http ://univ . ency-education.com.

[15] ينظر: الإبراهيمي، خولة طالب، (2006)، مبادئ في اللسانيات، ط2، دار القصبة للنشر،الجزائر. ص105.

[16] العلوي، عبد الرحيم الوائق، (2017)،تقويم الكفايات اللغوية واستراتيجيات تعليم وتعلم اللغة، دار أبي رقراق، الرباط، ص 96.

تشومسكي، (1990)، اللغة ومشكلات المعرفة، محاضرات ماناجوا، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال، ص 193.[17]

[18]العلوي، عبد الرحيم الوائق، تقويم الكفايات اللغوية واستراتيجيات تعليم وتعلم اللغة، ص 96

[19]شعبان، زكريا (2011)، اللغة الوظيفية والاتصال، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن، ص52.

[20]ينظر: البوشيخي، عز الدين، التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، ص25.

[21]البوشيخي، عز الدين، التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، ص27.

[22]البوشيخي، عز الدين، التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، ص 25.

[23] Dell. Hymes.1984.vers la competence de communication , longues et apprentissage des longues , tradiction du froncer : M . Franklin et M college, paris,Hatier.

[24]المرجع نفسه، ص 40، 41.

[25]عشير، عبد السلام،.(2007)، الكفايات التواصلية اللغة وتقنيات التعبير والتواصل، منشورات. الدار البيضاء، المغرب،ص23.

[26]شعبان، زكريا، اللغة الوظيفية والاتصال، ص43.

[27]زكريا،ميشال، (1986)الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)، ط2، المؤسسة الجامعية، بيروت،ص 7.

[28]براون، دوجلاس، أسس تعلم اللغة وتعليمها،ص 260.

[29]ينظر: زكريا، ميشال، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)، ص8.

[30]ينظر: رجم، سميرة،نحو مقاربة تواصلية في تدريس اللغة العربية في مرحلة التعليم الابتدائي. ص71.

[31]عبد الرحمن الحاج صالح، (2007)بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، ص184.

المراجع:

-آيت أوشن، علي، (1998)، اللسانيات والبيداغوجيا، دار الثقافة ،الدار البيضاء.
- الإبراهيمي، خولة طالب، (2006)، مبادئ في اللسانيات، ط2، دار القصبة للنشر،الجزائر.
-براون،دوجلاس،(1994).ترجمة.الراجحي،عبده،شعبان،علي أحمد. أسس تعلم اللغة وتعليمها. دار النهضة العربية، بيروت.

-البوشيخي، عز الدين. (2012). التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية، مكتبة لبنان، بيروت.
-بوقربة، لطفي (دت) محاضرات في اللسانيات التطبيقية، معهد اللغة والأدب ، جامعة بشار، الجزائر.
-التومي،عبد الرحمن، (2016)، الجامع في ديداكتيك اللغة العربية. مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

-الحاج صالح، عبد الرحمن، (2007)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر.
-الحسيني، هويدا محمد (1991)، دراسة تقويمية لكتب تعليم العربية كلغة أجنبية في ضوء مفاهيم المدخل الاتصالي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة.
-دورون، رولان، بارو، فرنسواز، تعريب فؤاد شاهين،(1997) موسوعة علم النفس،المجلد (F-P)
، منشورات عويدات، لبنان.
-رجم، سميرة. (2015-2016). نحو مقاربة تواصلية في تدريس اللغة العربية في مرحلة التعليم الابتدائي، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
-زكريا، ميشال، (1986)،الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط2، بيروت.
-شعبان، زكريا (2011)، اللغة الوظيفية والاتصال، عالم الكتب الحديث، إربد،الأردن.
-صبيحي، محمد الأخضر، (2007)، اللسانيات التداولية وأثرها في تعليمية اللغات، منتدى الأستاذ، العدد3، قسنطينة الجزائر.

- طعيمة، رشدي أحمد (دت)، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ج1، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، وحدة البحوث والمناهج، سلسلة دراسات في تعليم العربية 18.
- العبد، محمد، (2005)،النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة.
-عشير، عبد السلام،(2007)، الكفايات التواصلية اللغة وتقنيات التعبير والتواصل، منشورات
. الدار البيضاء، المغرب.Top edition
-العلوي، عبد الرحيم الواثق، (2017)،تقويم الكفايات اللغوية واستراتيجيات تعليم وتعلم اللغة، دار أبي رقراق،الرباط.

-العمراني، مصطفى (2008)، اللغة والتواصل التربوي والثقافي: مقاربة نفسية تربوية، منشورات مجلة علوم التربية، الدار البيضاء.
-مدكور، علي أحمد ، هريدي، إيمان أحمد، (2006) ، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها النظرية والتطبيق،دار الفكر العربي، ط1، القاهرة.
-مرير خديجة، (2018)، تعليم اللغة العربية وفق المقاربة التواصلية في المدرسة الجزائرية السنة الرابعة متوسط نموذجا، دراسات معاصرة، المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، المجلد 2، العدد2.

- Diane Larsen- Freeman. (1980). Discourse Analysis in second language ,Research Newbury House, U.S.A.

-Hymes .Dell:(1984)، vers la competence de communication , longues et apprentissage des longues , tradiction du froncer : M . Franklin et M college, paris,Hatier,